From an Esthetic Perception to a Persuasive Perception: Joseph Surah is as a Modal

Dr. Falih Abdullah Shalahi
University of Wasit/ College of Basic Education/ Department of Arabic Language
fshlahi@uowasit.edu.iq 009647734448010

Abstract:

This study endeavors to convince the recipient (the addressee) via the dialogue of communication, relying on the mind, and stay away from the coercion of the text reluctantly towards the desired persuasion goal. Although there is a tacit and disclosure in the subject of this study, that the Quranic text is a different text and it is away from the other creative texts through its endless indications in the construction of the language, the text geometrically sketches upon the pivotal character. At the story of Joseph “Peace be upon him” appears questions (inquiries), from Joseph to his father “Peace be upon them”, as the self-amalgamates with the other in a forward-looking dialogue, wherein it distances the feeling and emotion. Then it makes the mind mutates to persuasion. Thus, the events are organized in a hierarchical, progressive way throughout the detailed illustration in the central focus which it is regarded the keynote foundation at the glow of the text.

Key Words: Perception-Persuasion-Prospect of Expectation-Disappointment of Expectation-Central focus-Argumentative hierarchy.

من التلقي الجمالي الى التلقي الاقناعي سورة يوسف أنموذجاً

د.فالح عبد الله شلاهي
جامعة واسط/كلية التربية الاساسية/قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة الى اقناع المتلقي من خلال حوارية التواصل، والاتكاء على العقل، والابتعاد عن اكراه النص ولَيِّ عنقه اتجاه الغاية الإقناعية المنشودة، وعلى الرغم من ذلك ثمة وشاية وافصاح في موضوع الدراسة، على ان الص القرآني نص مغاير ومباعد عن النصوص الابداعية الاخرى من خلال ما يقدمه من دلالات لا متناهية في بنائه اللساني. فالنص يرسم بصورة هندسية تقع على عاتق الشخصية المحورية، ففي قصة يوسف (ع)، التي تبدو فيها تساؤلات يوسف لأبيه عليهما السلام، إذ تندمج الذات مع الآخر في حوارية استشرافية، تباعد الوجدان والعاطفة وتمس العقل متحولة الى اقناع، فتُشَيِّدُ الأحداث بشكل هرمي تصاعدي سلمي من خلال الايضاح المفصل الذي ورد في البؤرة المركزية التي تعد العماد الأساس في توهج النص.

الكلمات المفتاحية : *التلقي-الاقناع- افق التوقع -خيبة التوقع- البؤرة المركزية- السلم الحجاجي.*

منذ زمن بعيد كان يولى الاهتمام بالمؤلف كونه الموجد للنص، حتى وقت متأخر كانت الرعاية لهذه السلطة دون سواها، مما آل لها أن تقع في شرك الطرح الأحادي، والذي يحتم عليها أن تفسر النصوص من وجهة نظر واحدة، ومن ثم النظر إلى العوامل الخارجية، وتأثيرها في العمل الأدبي. حتى مجيء البنيوية، التي عملت بدورها على تنحية المؤلف وسلطته من خلال اتكائها على النص، إذ تصف "الأدب كياناً لغوياً مستقلاً، أو نظاما من الرموز والدلالات التي لا صلة لها بخارج النص" (عزام 2007: ص20) وبهذه المحاولة استطاعت وتمكنت من كسر سطوة المهيمن، أي المؤلف ونأت بنفسها عن الما حول ، وكل ما يحيط بالنص، إذ قامت فلسفتها على الجوهر المتماهي وما ينشأ من أنظمة وقوانين داخل البنية اللغوية. وبعد كل ذلك هل من الممكن اتخاذ هذا الطرح، أو التبني البنيوي القار والبديل المطلق عن سلطة المؤلف؟ لا سيما بعد أن تشربت الهموم للجيل الناشئ، وانكسرت الذات جراء الويلات التي خلفتها الحروب والظروف الحافة، فضلا عن تصدع العملية الإبداعية جراء النصية، من خلال تبنيها طروحات يشوبها الغموض والتلاعب بالأفكار وتحويلها إلى رموز جافة. سرعان ما بزغت محاولات إستدراكية منها؛ المغازلة التي أبدتها البنيوية التكوينية للسلطة السابقة بزعامة (غولدمان) والتي تؤمن بالعلاقة بين البنية الفوقية والبنية التحتية (ينظر: قصاب 2007: ص143). كل ذلك أدى إلى كشف النقاب عن تمظهر سلطة جديدة تسعى إلى أن تسوّق نفسها كبديل أو مشارك في إنتاج المعرفة، وقيل في حقها وانتماءاتها للاتجاهات ما بعد البنيوية لأنها "جاءت لتصحح الأخطاء التي وقعت

فيها البنيوية وأبرزها؛ الصنمية النصية ، وموت المؤلف ، وإهمال حركة التاريخ "(صالح 1999: ص 22)، مما أدى بها إلى التطرف وآن الأوان لفسح المجال أمام الذات المتلقية لتشتغل شغلاً فاعلاً.

ونتيجةً للتحولات التي تحدث في مظان الواقع عبر الزمن الإنساني، وصراعها، ومخاضها مع الفكر جرّاء هذا لابد من تغيير يحدث في كل فعل للقراءة، ولا سيما ما يتسم بالسيرورة والحركة. ولابد لهذه القراءة أن تعي حجم المخاطرة لأنها تمس نصاً يحمل في طياته هوية أمة، تسهم وتشارك بشكل كبير في رسم صورة للمجتمع الإنساني. ونحن بصدد دراسة النص القرآني المتمثل بسورة يوسف (ع)، الذي سنتخذه أنموذجاً إجرائيا لتدعيم أطروحتنا. وعلى الرغم من كثرة القراءات الجادة واللامعة التي تواصلت مع هذا النص نعتقد بأن زاوية النظر لدينا مغايرة، وتلقيها مغاير عما سبق، فكل "قراءة للنص ماهي في الحقيقة إلا انطباع لثقافة القارئ، وتكوينه المعرفي عن النص، بحيث يمارس سلطته في توجيهه، وفرض أنساقـه المعرفية عليه" (السلطاني 2018: ص15). وثمـــة طروحات يروم هذا البحث بثها، وغايته إقناع المتلقي بتلك الطروحات، وهي بلا شك ليست نهائية، مع التنويه بأنها تنشد القداسة المحملة والقابعة في النص. على الرغم من وجود محاولات خفية تتوسل بـ "زحزحة مفهوم قداسته، وتحجيم أحكامه، وتفكيك دلالاته، مستعملين في ذلك شتى أنواع المصطلحات والمناهج المختلفة، مستفيدين من اللسانيات والسيمائيات ....الخ "(السلطاني 2018: ص16) وعلى وفق هذا تكون نظرية التلقي من مرجعياتهم. ومن هنا بزغت الرغبة في تحويل المعارض والمقوّض إلى متفق مع إجراء بعض التغييرات التي تطرأ على مفهومات النظرية. وذلك من خلال التماهي والمسايرة مع المقولة التي ترفض حصر المعنى بالنص، وتميل إلى الإعتقاد بأن القارئ هو الخالق الحقيقي للنص(ينظر: ثامر 1988: ص12). وذلك بالركون إلى العقل وهو اللب والجوهر، الذي تسعى إلى وصوله هذه الأطروحة. وجُلُ النظريات والمناهج تنشئ فلسفتها على نقد السابق وتقويضه للولوج إلى مقاربة جديدة، هذا أمر بديهي، بسبب الشك الذي يساور العقل الإنساني للوصول إلى اليقين، ومن ثمّ ينفذ إلى شك آخر وهكذا. ومن الفلسفات التي رفدت هذه النظرية (الفلسفة الظاهراتية) وبؤرة التركيز التي كان سائداً فيها مفهوم (التعالي) الذي تبناه (هوسرل) والذي أشار فيه إلى إن معرفة وانبثاق المعنى الموضوعي وتموضعه بعد أن تكون الواقعة قد تشكلت معنى في الشعور، أي بعد ارتدادها من عالم المحسوسات المادية إلى عالم الشعور الداخلي الخالص (ينظر: محمد 1991: ص 43). ومن خلال هذا جاء (انغاردن) تلميذ (هوسرل) معدلا ومجرياً بعض التغيرات على مفهوم التعالي وذلك من خلال تطبيقه على العمل الأدبي وتوزيعه على بنيتين؛ ثابتة، ومتحركة (ينظر: صالح 1999: ص24) من هنا يجد الباحث أن الإستدعاء الجمالي والإمتاعي للنظرية من خلال هذه الإلماعات والتعديلات التي تعمل على ربط الجمالي بالمتغير الأسلوبي لم يعد ممكنا، على الرغم من الإعتراض المسجل على البنية الثابته والتي توحي بتساوي التلقيات من خلال القراءات، وهذا غير ممكن أيضا، ومخالف للطبيعة البشرية. ولم تكتف نظرية التلقي في تقعيد آرائها من الفلسفة الظاهراتية فحسب، بل راحت أبعد من ذلك مرتويةً من فلسفة التأويل (الهرمينوطيقا) لتحدث هذه الأخيرة أثرها فيها ولا سيما فلسفة (غادمير) إذ عدت الأبرز تأثيرا في نظرية التلقي. إذ أخضع بدوره التاريخ (الماضي) لمعيار الفهم،

وذلك من خلال طرحه لمفهوم إجرائي يتم فيه تفسير هذا التأريخ، الذي أطلق عليه مفهوم الأفق التاريخي (ينظر: صالح 1999: ص27). وعلى الرغم من الإفادة من هاتين الفلسفتين ارتبطت هذه المرجعية أو النظرية بـ (ياوس و آيزر) رائدي مدرسة (كونستانس)الألمانية (ينظر: إسماعيل 2002: ص9) فـ (ياوس) شغل جل اهتمامه في شؤون التلقي وتنبه إلى القضية التاريخية فأولاها عنايته فاسحًا بذلك المجال أمام مصطلح جماليات التلقي ويبدو أن هيمنة الجمالي كانت لها أرضا خصبة، وقابلة للإنبات من قبل المناهج السابقة واللاحقة. من هنا نجد العناية الكامنة لدى (ياوس) بفكرة الجمال، مغايرة عما طرح من رؤى حول الجمال، وتقعيده لها من خلال التأكيد على الطابع التواصلي الجمالي، فضلاً عن كونه العنصر الأكثر بروزاً، وإثارة لانتباه المتلقي بما يحدث من وقع وأثر (ينظر: سمير 2005: ص22).

وبذلك يتم رسم تاريخ للأدب قائم على ذوق المتلقي، وردود أفعاله، "وهي الفكرة التي استند فيها إلى مفهوم (التاريخانية) الذي سيأخذه من (غادمير) وهي تأرخة ستؤدي دور الوسيط بين الماضي والحاضر" (سي هول، ترجمة رعد عبد الجليل جواد 1992: ص76). وهذا يتم بمقولة (غادمير) بحتمية (اندماج الآفاق) والتي يحدث فيها انصهار الآفاق بين الماضي والحاضر (ينظر: إسماعيل 2002: ص48). وثمة مقاربات إسلامية ليست ببعيدة عن هذا الطرح فيما يتعلق بموضـــوع البحث بـ (سورة يوسف)منها؛ ما يقول في حق هذا النص هو "تسلية للرسول ـ صل الله عليه وسلم ـ عما يفعله به قومه مثلما فعل أخوة يوسف عليه السلام ـ به" (البغدادي 2009:مج4/ ج6/ص362) ولا يبتعد كثيراً عن ذلك سيد قطب في عرض أطروحته "في الوقت الذي كان رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ يعاني من الوحشة ، والغربة ، والانقطاع في جاهلية قريش ، منذ عام الحزن وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشـدة ، كان الله – سبحانه وتعالى ــ يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم ـ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ــ عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ـ وهو يعاني صنوفًا من المحن والابتلاءات" (قطب 2004:مج4/ ج12/ 1950). ويبين لنا هذا الطرح ثمة تضافر في الرؤى الهرمينوطيقية مع الرؤية الاسلامية والاشتغال معاً في رسم تلقٍ جمالي.

وينبهنا هذا الاختلاف الذي أحدثه (ياوس) في ابتعاده عن البنيويين في بنائهم الداخلي، والذي اتكأ على رحم البنية اللغوية، وتعالقها مع جاراتها في علاقات قَبْلية وبعدية، مرتمياً في الداخل وواضعاً تصوراً جديداً لتاريخ التلقي بوساطة أفق التوقع. ويتكون بحسب فهم (ياوس) من ثلاثة عوامل أساسية هي:

1- التجربة المسبقة التي يتوافر عليها الجمهور في مجال الجنس الذي ينتمي إليه الأثر.

2- شكل الآثار السابقة وموضوعاتها، التي يفترض في العمل الجديد الإلمام بها.

3- التعارض الحاصل بين اللغة الشعرية واللغة اليومية بين العالم المتخيل والواقع اليومي (ينظر: صالح 1999: ص31).

وعند النظر لهذه العوامل يجد المتطلع أن تعالق بعضها بالنص وبعضها الآخر بالمتلقي، الأمر الذي يشير بصورة كلية أن تلقي العمل يمثل تفاعلا حيويا بين آليات وخصائص النص، فما وافق انتظار القارئ لابد له أن يتزود بمعطيات تعينه في التفاعل مع العمل، والاستعداد لنمط معين من التلقي عبر علاقات الحضور والغياب والإحالات الضمنية (ينظر: عروي 2009: ص46). والأعمال الجديدة تستدعي "لدى القارئ نصوصا سبق أن قرأها (.....) والمتلقي يخلق توقعا معينا منذ البداية ، يمكنه أن يحتفظ به مع تقدم القراءة أو أن يتعرض للتكيف والتوجه أو يقطع بالسخرية" (عروي 2009: ص47). من هنا تتولد المغايرة وتضاء في الآفاق رؤية معاكسة، هي الرؤية الإقناعية لتصبح بديلا في التلقي عن الرؤية الجمالية، وذلك من خلال المصداق المبثوث في متن النص القرآني والذي ينتصر للعقل دون سواه، قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (يوسف 3). ويمكن لنا أن نستخلص مفهوم الحجاج عند (تولمين) من خلال الرسوم الحجاجية المختلفة، وتوزيعه لها على ثلاثة أركان أساسية:

ــ المعطى (م)
ــ النتيجة (ن)
ــ الضامن (ض)

والذي يصاغ على شكل الخطاطة الآتية:

المعطى(م) ← النتيجة (ن) (صولة 2007: ص22-23)
↓
الضامن (ض)

وإذا اعتكزنا على هذه الرؤية كون الآية الثالثة هي المعطى سيكون الضامن لقبول هذه الأطروحة بلا شك هو العقل الكاشف ومحور الإرتكاز، كونه يزود نبينا ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ بالآليات والتكنيكات لمواجهة الواقع؛ واقع أحادي إقصائي لا يقبل بطروحات الآخر، وهذا الضامن يحمل في طياته المعرفة ، كونه لم يع بأحوال الأمم الأخرى التي سبقته، وترتكز هذه المعرفة بالذهن لتضاف إلى المعارف الأخرى، وهي بطبيعة الحال ليست المعرفة، التي تعمل على توافق أو تضاد، أو استهلاك، بل المعرفة التي يمكن من خلالها أن يشيد بناءآ جديدا، ليكون نتيجة حتمية جاءت في مصداق قوله تعالى (وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (يوسف 6) وهي النتيجة الحتمية المنشودة من لدن الباث؛ الله تعالى إلى نبيّ الرحمة يوسف ـ عليه السلام ـ قبل زمن القص، والنبي

محمد ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ بعد زمن القص، وهذا يتساوق مع الدلالة في قوله تعالى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(يونس 62-63-64).

وإن دلت الوقائع المادية على هلاكهما، وبعد اتخاذ هذه النتيجة التي تصبح بؤرة تركيز البحث، لتتحرك عبر مسار توزيعي منتظم، على شكل سلم تصاعدي إقناعي، كما يكشف ذلك التساوق النصي والذي سيعرض لاحقاً بعد التعرض الإجرائي لمفهومات النظرية.

أفق التوقع:

يقصد به: "أن القارئ ذو معرفة مكتسبة، من خلال معرفته للنصوص وقواعدها الفنية التي تميز جنساً أدبياً عن آخر، وإن الممارسة هي ما تزوده بهذه المعرفة، والإدراك لتوالي النصوص في الزمان بحيث يكشف مباشرة الانحرافات التي تخرج عن السنن والتقاليد الفنية المعروفة" (عزام 2007: ص97) .

من خلال هذا التبني جاء الطرح بأن يكون العقل هو محور العملية التواصلية، بدلا من الذوق، والوجدان، والنمطية المعهودة، وعند النظر في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (يوسف 4-5), نلحظ أن السلطة الأبوية تتمظهر بشكل بارز ، وتلقي بظلالها على يوسف (ع) وأخوته من خلال السياق القرآني، والتي تكشف عنها اللغة التي تبوح بالإشفاق الوجداني الأبوي ، من دلالة لفظة (يابني) ومن ثم يعمل الجهاز المفاهيمي اللغوي على تهيئة يوسف (ع) لاستقبال النهي الأبوي بدلالة (لا تقصص) بعد الرقة البادية من يعقوب (ع). فالأفق واضح وجلي عند يعقوب (ع)، من خلال استقباله لسماع الرؤيا، وكذلك لاستشرافه للمستقبل المنتظر من أخوة يوسف(ع) لذا عمل يعقوب على إخراج الأطروحة التي جاء بها يوسف (ع) من منطقة الوجدان إلى منطقة العقل، بسبب الخوف الذي انتابه من جراء عمل قد يحدث من لدن أخوة يوسف (ع)، فعمل على مسيرته قبل أن "يعبرها له، وينبئه بما تدل عليه رؤياه من الكرامة الإلهية المقضية في حقه" (الطباطبائي 1361-1362ه: ج11/ص84). فالخوف والخشية أمر طبيعي على وفق المعطيات التي يمتلكها يعقوب (ع)، لأنه "كان يتفرس من إخوته أنهم يكيدونه وأنهم امتلؤوا منه بغضا وحنقا" (الطباطبائي 1361-1362ه: ج11/ص84), كل ذلك يسجل بصوت يعقوب (ع) ويُلاك على لسانه من خلال القدرة التفكيرية, وما يدور في ذهنية الأبناء لأن: "رؤيا الأنبياء وحي, وعلم يعقوب أن إخوة يوسف يعرفون تأويلها, ويخافون علوّ يوسف عليهم".(الطبرسي 1427ه-2006م :ج5/ص260), على الرغم من كل هذه المخاوف إلا إننا نجد يعقوب (ع) يتشظى بين مهمتين؛ النبوة، الأبوة، وإن بدا ذلك بشكل غير مباشر، فنجده مدافعاً عن الأبناء باستدعائه لاحقة حقيقية متفق عليها (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)(يوسف 5), وما تحمله هذه اللاحقة من مداليل وحمولات ثقافية، أي انشطار الكيد بين إخوة يوسف، والشيطان الذي كان يبعث لهم بالدوافع المرضية ويغلغلها في نفوسهم .

ويستمر يعقوب في رسم الآفاق، بوصفه مهندسا للأحداث، وذلك بحكم امتلاكه للسلطتين الدينية والبايلوجية، ووفق مقصدية يراها هو من خلال الإتيان بالمخاوف المحتملة من الذئب، ليهرب نسقاً مضمرا الذي أصبح بعد حين نسقا مظهرا ومركزا لأطروحتهم، وبديلاً عن دورهم في التخلص من يوسف (ع)، قال تعالى: (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) (يوسف13).

لثامها يعقوب (ع) لأنها من عنداياته، ويأتي بحجة أقوى من حججهم مستعينا بالرابط (بل) ليتهمهم مباشرة ويفند حجتهم، ويلجأ يعقوب (ع) إلى الصبر مفتاحا للتخفيف عن الحزن الذي وقع عليه، والإستعانة بالله هي المحصلة النهائية ، لتخفيف جدل الأطروحتين، قال تعالى (وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)(يوسف 18)

خيبة التوقع:

وهو مفهوم يشيده المتلقي لقياس التغيرات أو التبدلات التي تطرأ على بنية التلقي، وهو مغاير عن مفهوم كسر التوقع، الذي كان أكثر التصاقاً بالشكلانيين الروس، والذي يرتمي في أحضان المقصدية الفنية للإنزياحات الأسلوبية(ينظر: صالح 1999: ص32) .

نلحظ عند إجماع إخوة يوسف (ع) على قتله، في قوله تعالى: (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) (يوسف 9).

إذ نجد أن الأنا تتضخم عندهم، وتلعب دورا في إبعاد الآخر؛ يوسف (ع) لتتحول من الأنا الرافضة إلى الإنا المرضية، بدلالة (اقتلوا)، والتي تسعى إلى التفرد في التقرب إلى الأب يعقوب، إذ سرعان ما يخيب هذا الاجماع في الرأي بخروج رأي مغاير يكتب له الرجحان من لدن أحد إخوة يوسف(ع) ليضعف من رأي المجموعة المتفقة، والمؤتلفة، وليكون سببا في نجاة يوسف (ع) من بغض، وتحامل إخوته عليه، قال تعالى: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)(يوسف 10).

ونجد كذلك خيبة توقع تصيب زوجة العزيز بما تملكه من مكانة، وسلطة، وهيمنة على رعيتها، والتي من ضمنها يوسف عليه السلام، فعملت على إيجاد كل السبل لنجاعة توقعها من تغليق للأبواب، وما يرافق ذلك من تهيئة أمور أخرى كالملبس، والشكل ، فضلا عن بث ما يمكن بثه في المكان المرسوم للإيقاع بيوسف (ع) في شَرَكٍ مرسوم، إذ تم إحباط كل المحاولات، وما تم توقعه، وما يمكن أن يوصلها إلى نتائج، كانت ترجو حصولها، كما جاء في قوله تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)(يوسف 23).

وتبدو لنا خيبة زوجة العزيز في التوقع في الآلية المتبعة من لدنها بإدارة الحوار لصالحها من خلال الآية الخامسة والعشرين وتوجيه الإتهام المباشر إلى يوسف(ع) عن طريق آلية الإستفهام : (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا....).(يوسف 25) ولم تكتف بالتمويه بإدانة يوسف(ع) بل أخذت الأحداث تتجه إلى مسارات أخرى وتحويلها من غواية ومواراة ليوسف (ع) إلى جناية اقترفها يوسف (ع)، ولا بد من إيجاد عقوبة لهذا الإعتداء، فعملت على إصدار حكم يتضمن نتيجة عليه، قال تعالى: (إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ..)(يوسف 25), إن دل على شيء إنما يدل على شخصية قوية غير مرتبكة، بسبب المكانة السياسية والإجتماعية التي تحظى بها، وفي مقابل هذا ضعف ووهن في حجة يوسف (ع) في الدفاع عن نفسه، قال تعالى: (قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي...).(يوسف 26) وبذلك تأتي الرعاية الإلهية، والتي تدخل ضمن سلّم الإجتباء، إذ سيأتي الحديث عنه لاحقا، لتأتي شهادة الشاهد الذي كان أكثر دعما لموقف يوسف (ع) معززاً بذلك كونه من أهلها، معتمدا على المنطق، والمعادلة العقلية، والتي لا يختلف عليها اثنان، لتكون الآيتان السادسة والعشرون والسابعة والعشرون دليلا على تلك الآلية المنطقية، والتي تتمم حكمها الآية الثامنة والعشرون.

ويمكن لنا أن نبين تلك الشهادة ونتائج الحكم بالمخطط الاتي:

سرعان ما يترجم هذا النسق، وذلك من خلال حال مجيئهم بمشهد تمثيلي بكائي ليلاً ، لحجب النظر ورؤية ملامحهم الفاضحة والكاذبة، قال تعالى: (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ، قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)(يوسف 16-17). بهذا الطرح من لدن أخوة يوسف (ع) يراد لهم حجة تقوّي وتدعم أطروحتهم فارتموا بحضن العقل الشيطاني، واستعانوا به في ترتيب التدابير لتصديق الأطروحة، وهو مايمدهم بفكر ظلامي، فعملوا على وضع الدم عل ظاهر القميص وفاتهم تمزيقه، ومن ثم إلقاء التهم على عاتق الذئب، إلاّ إن هذه الدعوى سرعان ماتُرَد، ويكشف زيفها ويرفع

(يوسف كاذب إذ قُدَّ من قُبُل وهي الصادقة)
(يوسف صادق إذ قُدَّ من دُبُر وهي كاذبة)

م: المعاينة
(فلما رأى قميصه قُدَّ من دبر)

ن : نتيجة الحكم
إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم

وبعد التعرض لمفهومات النظرية ولا سيما عند (ياوس) نلج إلى الآلية الإقناعية المتبعة من لدن الباث الله ــ سبحانة وتعالى ــ اتجاه المتلقي، إلا وهي آلية السلم التصاعدي لقبول الأطروحة، ومن خلال الطرح الذي نتبناه بأن؛ الآية السادسة هي البؤرة المركزية التي يقوم عليها بناء السورة المباركة، والتي تحمل في ثناياها آلية السير، ثم الوصول إلى النتيجة المرسومة، والتي يهدف بها الله ــ سبحانه وتعالى ــ بصفته الباث والمقنع بالأطروحة للنبي محمد (ص) وذلك من خلال إقرار التلازم، والذي يعني "الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم ، إلا بإضافتها إلى نتيجة" (المبخوت د.ت:ص363) من هنا جاءت المهمة التي ظفر بها (ديكرو) بربطه الحجاج باللغة من خلال الخصائص الدرجية التي تمتلكها "إذ اقتضى وصفها عنصرا له ارتباط متبادل مع عنصر آخر، على الأقل وإذا وجدت علاقة استلزام بينهما، نسميهما تعالقا، وتكون مجموعة العناصر مرتبطة ببعضها مما نسميه سلما مرتبطا من المتعلقات" (موشلر ولايبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة الباحثين 2010: ص393).

وتجدر الإشارة إلى إن ارتماء اللغة في حضن الاحتمال أهّلها بأن تتعالق، وتتساوق معا بدلا عن الانصياع عن المنطق الاستدلالي، الذي يتكئ على القبول، أو الرفض، إذ أخذت الحجج بالتدرج بحسب قوتها، ومدى فاعليتها، ويبدو؛ وكما هو ظاهر أن الحجة في السُلّمة الأولى وقع على عاتق المرحلة العمرية المتقدمة، أي الطفولة "واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد وذلك للأنبياء(ع) - وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء" (الأصفهاني د.ت: ص87). كما جاء في قوله تعالى: (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)(القلم 50). ونجد معنىً للإجتباء لا يخص مرحلة عمرية متقدمة فحسب، بل يسير بانسيابية في مراحل متعددة، وهي الرعاية الإلهية المحفوفة للعبد، ومصداق ذلك ملموس وجلي في السورة المباركة ويصرح مباشرة بيوسف (ع) وضمنا للنبي محمد (ص) ويعنى به "جمع أجزاء الشيء وحفظها من التفرق والتشتت، وفيه سلوك وحركة من الجابي نحو المجبي فاجتباء الله سبحانه عبدا من عباده هو أن يقصده برحمته ويخصه بمزيد كرامته فيجمع شمله ويحفظه من التفرق في السبل المتفرقة الشيطانية المفرقة للإنسان ويركبه صراطه المستقيم، وهو أن يتولى أمره ويخصه بنفسه فلا يكون لغيره فيه نصيب" (الطباطبائي 1361-1362: ج11/ ص84). كما أخبر الله تعالى في قوله : (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)(يوسف 24). ويدخل تحت مظلة السُلّمة الأولى آيات كثر 1- منها المفارقة الإجتبائية التي تحدثها الآية العاشرة على لسان أحد إخوته: (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ....). كذلك الآية التاسعة عشر تأتي داعمة للسُلّمة الأولى، على الرغم مما تحمله من دلالة سلبية في ظاهرها من حيث مفهوم البخس، قال تعالى: (وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ). والآية الحادية والعشرون التي تؤكد منح التمكن ليوسف عليه السلام، 2- قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ...). والآية الثالثة والعشرون التي تمثل الرد ومجابهة المزالق الشيطانية، قال تعالى: (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ...). والآية الرابعة والعشرون في الخلاص من المنعطف الخطير الذي رسمته زوجة العزيز، قال 3- تعالى: (لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ...). والآية الخامسة والعشرون التي يكتنز فيها تفتّح الأبواب بفعل الإجتباء الرباني، قال تعالى: (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ...). والآية السادسة والعشرون، والتي تعرضنا لها ضمنا في مدارج البحث، قال تعالى: 4- (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا...) . وتدخل ضمن هذه السُلّمة الآيات؛ الثانية والثلاثون، والثالثة والثلاثون، والرابعة والثلاثون .

ومع السُلّمة الثانية يأتي العلم وتأويل الأحاديث، الذي يمثل الركيزة الأساسية لهذه السُلّمة ، وبه يتغير المكان، ويتشظى بين السجن، وبيت الملك، وتكون هذه السُلّمة أقوى من التي سبقتها باعتمادها على ذات المؤول وصاحب العلم، فـ5- "التأويل في الأصل هو المنتهى الذي يؤول إليه المعنى، وتأويل الحديث فقهه الذي هو حكمه ، لأنه إظهار ما يؤول إليه أمره مما يعتمد عليه وفائدته"(الطوسي 2010: ج6/ص89). وتشتمل هذه السُلّمة على دعائم قرآنية مصداقها في الآية السادسة والثلاثين، قال تعالى: (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ...) ويترجم هذا المصداق من خلال الخلق النبيل والتواضع لحامل العلم. والآية الثامنة والثلاثون، قال تعالى: (ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا...). التي تشير إلى العرفان من لدن العالم بفضل الله تعالى. والآية الحادية والأربعون، قوله تعالى: (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ). وكذلك الآية السادسة والأربعون، في قوله تعالى: (أَفْتِنَا...)، والعلم يزود يوسف في الدفاع عن نفسه بعد أن تكفّله الله بالدفاع عنه في السُلّمة الأولى، ويتعزز مفهوم هذه السُلّمة عند خصمه، في الآية الحادية والخمسين في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ...). لنصل إلى نتيجة هي نيل ثقة ملك مصر ليوسف وتقريبه إليه. وذلك في الآية الرابعة والخمسين، في قوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ).

إن هذا التدرج السُلّمي المتوهج يوصلنا إلى نتيجة مفادها إتمام نعمة النبوة، التي تمثل؛ الليل، والطيب، والإحسان من لدن الله تعالى عليه، وعلى أبويه من قبل (ينظر: الطباطبائي 1361-1362: ج11/ص85). كما في قوله تعالى: (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (يوسف 100) .

ويمكن لنا أن نمثلها في السلّم الحجاجي الآتي :

ن نعمة النبوة

ق2 العلم وتأويل الاحاديث

ق1 الاجتباء

نتائج البحث

توصل البحث الى أن المخبوء تحت لغة النص يحمل غايات اقناعية، بمعنى اقناع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن ما يقع عليه من حيف وأذى من قبل المشككين والمكذبين والمترددين في نبوته ورسالته، لا بد أن يتمم له ذلك كما أتمه على يوسف (عليه السلام).

أثبت البحث إن النص القرآني يتسم بالحركة والسيرورة لا يمكن لقراءة ما أن تختزله في منطقة معينة تأويلاً أو تفسيراً أو قراءةً، بل على العكس من ذلك نجده ملاحقاً من قبل المتغيرات العقلية والفكرية التي تتغير مع الزمن.

النص قائم على بؤرة مركزية عمادها الآية السادسة في سورة يوسف (عليه السلام)، إذ تبدأ بالتوهج واللمعان في أعلى مدياته ومن ثم الانتهاء والوصول الى تحقيق الغاية المنشودة/النبوة.

وجد البحث ان البناء اللغوي الهندسي قائم بشكل متفرد يحمل دلالة قصدية، إذ نجد تكاثف البناء القرآني لعدد الآيات المباركة في الرعاية الالهية ليوسف في مرحلة مبكرة، ثم تبدأ هذه الرعاية بالانحسار تدريجياً تاركة المجال الطبيعي والتكويني للفرد بالاعتماد على نفسه من خلال ما يحمله من علم وتأويل وتقدم في العمر.

إن هيمنة سلطة الجمال لفترات طويلة كانت مدعاة للاحتكام الى سلطة العقل وحواريته.

المصادر

القران الكريم .

إسماعيل، سامي (ط2002،1م). جماليات التلقي. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

الأصفهاني، أبو القاسم بن حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (د.ت). المفردات في غريب القرآن. أعده للنشر وأشرف على الطبع د.محمد أحمد خلف الله. مكتبة الانجلو المصرية.

- البغدادي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ط3، 2009م). روح-المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني . تحقيق علي عبد الباري عطية، لبنان.
- ثامر، فاضل(1988م). القصيدة والنقد سلطة النص أم سلطة القارئ. مجلة-أقلام.ع1،بغداد.
- السلطاني، د.حكيم سلمان (ط1، 2018م). القراءة الحداثية للنص القرآني في ضوء-تحليل الخطاب. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،عمان.
- سمير، حميد(2005م).النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري.-منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- سي هول، روبرت(ط1، 1992م). نظرية الاستقبال مقدمة نقدية. ترجمة رعد عبد الجليل جواد. دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية.
- صالح، د.بشرى موسى (ط1، 1999م). نظرية التلقي أصول وتطبيقات. دار-الشؤون الثقافية، بغداد.
- صولة، عبد الله (ط2، 2007م). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه-الأسلوبية. دار الفارابي. بيروت، لبنان.
- الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين (1361-1362ه). الميزان في تفسير القرآن. دار الكتب الإسلامية، طهران.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(1427ه-2006م). مجمع البيان في تفسير القرآن. دار المرتضى، بيروت.
- الطوسي، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن(ط1، 2010م). التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي. الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان.
- عزام، محمد (ط1، 2007م). التلقي والتأويل بيان سلطة القارئ في الأدب. دار الينابيع، دمشق.
- عروي، محمد اقبال (2009م). مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي. مجلة عالم الفكر العدد3. المجلد 37. المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.
- فريق البحث في البلاغة والحجاج، اشراف حمادي صمود (د.ت). أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من ارسطو الى اليوم. منشورات كلية الآداب. منوبة، تونس.
- قصاب، د.وليد (ط1، 2007م). مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، دمشق.
- قطب، سيد (ط34، 2004م). في ظلال القرآن. دار الشروق.
- محمد، سماح رافع (1991م). الفينومينولوجيا عند هوسرل. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- موشلر-ريبول، جاك-آن(2010م). القاموس الموسوعي للتداولية. ترجمة مجموعة من الأساتذة الباحثين باشراف عز الدين المجدوب. مراجعة خالد ميلاد. المركز الوطني للترجمة. دار سيناتر، تونس.